

الكتابة الفلسفية في الجزائر بين التنظير والممارسة.

أ. أحمد ماريـف، جامعة مستغانم

ahmed.marif13@yahoo.fr

الملخص:

صدرت في الجزائر مطلع السنوات الأخيرة مجموعة من الكتب ذات الطابع الفكري والفلسفي وهذا ما يوحي بازدهار الفعل والنشاط الفلسفيين في الجزائر ومعظم الكتابات والكتب الصادرة في هذا المجال هي من وضع وترجمة أساتذة جامعيين، أمثال أعمال الدكتور عمر مهيل وكذا ترجمة نادية بونفقة لمقال هايدغر "مادا يعني التفكير" وكذا أعمال وترجمات الدكتور محمد شوقي الزين مثل "فلسفة التأويل" لهانز جورج غادامير، وغيرها من الأعمال المطروحة على الساحة الفكرية والفلسفية التي لاقت رواجاً في الجزائر وعند مختلف المشتغلين بالحقل الفلسفي في الوطن العربي ككل، وهي كلها أعمال تشير إلى ازدهار الفعل الفلسفي بالجزائر وتطوره، لكن الدوران حول ذلك وعدم تفعيل وتطوير هذا الفكر في حياتنا الراهنية والاجتماعية والسياسية والثقافية يبقى عملية تواصلنا مع الغرب لا تتجاوز حدود الترجمة وليس توطين المفاهيم والرؤى، كما انه يبقى عملية الفعل الفلسفي عند في مستوى الحدود النظرية والمؤسسات الأكاديمية.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة؛ التنظير؛ الممارسة؛ الجزائر.

لقد صدرت في الجزائر مطلع السنوات الأخيرة مجموعة من الكتب ذات الطابع الفكري والفلسفي وهذا ما يوحى بازدهار الفعل والنشاط الفلسفيين في الجزائر ومعظم الكتابات والكتب الصادرة في هذا المجال هي من وضع وترجمة أساتذة جامعيين، أمثال أعمال الدكتور عمر مهـبيل (من النسق إلى الذات الصادر عن منشورا الاختلاف،الجزائر ط 1،2007) وكذا ترجمة ناديـة بونفـقة لمقال هايدغر "مادا يعني التفكير" وكذا أعمال وترجمات الدكتور مُجـد شوقي الزين مثل "فلسفة التأويل" لـهانز جورج غادامير، وغيرها من الأعمال المطروحة على الساحة الفكرية والفلسفية التي لاقت رواجاً في الجزائر وعند مختلف المشتغلين بالحقل الفلسفي في الوطن العربي ككل، وهي كلها أعمال تشير إلى ازدهار الفعل الفلسفي بالجزائر وتطوره، لكن الإشكال المطروح والذي يطرح نفسه بإلحاح هو كيف نوظف هذه النظريات الغربية والأعمال العربية الجزائرية وترجمتها في واقعنا الفعلي، فترجمة هذه الأعمال والاشتغال عليها أمر مهم وحيوي، لكن الدوران حول ذلك وعدم تفعيل وتطوير هذا الفكر في حياتنا الراهنية والاجتماعية والسياسية والثقافية يبقى عملية تواصلنا مع الغرب لا تتجاوز حدود الترجمة وليس توطين المفاهيم والرؤى، كما انه يبقى عملية الفعل الفلسفي عند في مستوى الحدود النظرية والمؤسسات الأكاديمية. وعليه ما إجرائية الفكر الفلسفي في الجزائر؟ وما حقيقة إفادتنا من الأعمال الفلسفية في راهننا وممارساتنا العملية؟ وكيف هو مستوى الانشغال الفلسفي في الجزائر؟ وهل الفلسفة في الجزائر مجرد تنظير يخالف

راهنية الفيلسوف والمجتمع ككل؟ وما هي الأسباب التي حالت دون حضور الفلسفة في الراهن الاجتماعي والثقافي العربي والجزائري على الخصوص؟ فإذا كانت الفلسفة انتماء وولاء للإنسانية وللثقافة ككل فهل هذا ينطبق على فلاسفتنا حقا مثل ما كان ابن رشد يجسد النظر الفلسفي في سلوكه؟ وكيف نستطيع أن نكون فلاسفة خارج الأطر الأكاديمية والتعليمية؟

إن الحديث عن الكتابة الفلسفية بالجزائر يوحي بوجود فعلي للفكر وللعمل الفلسفي كمادة خام متوفرة وبدأت في الازدهار بكثرة خاصة في العشرين سنة الأخيرة سواء من خلال إبداعات مفكرينا ومثقفينا أو من خلال مرجعيات عربية إسلامية أو غربية أوروبية وهذا ما يظهر من خلال ظهور وتواجد مفكرين وفلاسفة وباحثين متشعبي التوجهات والتأثرات فبعضهم جابري التوجه، والآخر أركوني والبعض نيتشوي، والآخر فوكوي، ومنهم البنيوي والتفكيكي وإلى ما غير ذلك من التوجهات المختلفة. بالإضافة إلى تنظيم العديد من التظاهرات واللقاءات والمؤتمرات العلمية والفكرية في مختلف أقطار الوطن العربي وفي مختلف الجامعات الجزائرية خصوصا التي طالما أكدت على أهمية تحديد موقف عقلائي وصريح من الواقع والراهن، منظرّة إلى الكثير من الآليات والطرق والمشاريع والأفكار الفلسفية الهادفة أساسا إلى البحث عن راهن عملي يهدف استنبات فكر فلسفي جزائري أصيل ومتأصل في الواقع المعيش وهذا ما لم يتحقق بعد.

فلم تعد الكتابة الفلسفية في الجزائر بتنوّع مشاربها قادرة على الانخراط في هموم واهتمامات مجتمعتها، ولا حتى الاهتمام بشؤون لحظاتها التاريخية والثقافية المتباينة حسب اختلاف الزمان والفضاء، فلم تعد تنخرط سوى على مستوى التنظير والتدوين والقول لا الفعل، وهذا ما جعل منها بحسب التصور الماركسي "خلاصة روحية لعصرها... وصراعا اجتماعيا طبقيا على مستوى النظرية"¹، فأصبح الحس الجمعي المشترك Sens commun هو المسيطر والسيد، وهذا ما أدى إلى غياب الفلسفة كممارسة فكرية بشكل عام. لكن الملاحظ اليوم ومن قبل خاصة، ظهور الكثير من المواقف النافية للفكر الفلسفي وللكتابة الفلسفية الحرة والمتحررة والناقدة لمختلف الأطر السياسية والاجتماعية، وهذا التّبخيس والنفي كان من قبل جهات معينة تريد بسط سيطرة فكرها المطلق على كل الأطر، وبهذا سعت في الجانب التربوي إلى تمهين الفلسفة في المؤسسات التربوية والجامعية ولم تسعى إلى تعميم الفكر الفلسفي وإعطائه مجالا أوسع من الحرية، فأصبحنا أمام دعوة لتمهين الفلسفة، وهنا بدء دور الفلسفة والفيلسوف في التقلّص والاختزال، فتحوّلت الفلسفة إلى مجرد مادة أكاديمية تدرس في الجامعات والمؤسسات الثانوية وحادت بالتالي عن دورها النقدي والتوجيهي وانعزلت عن المحيط الاجتماعي الذي

¹- مصطفى محسن، الفلسفة والمؤسسة ومهام التنويري في زمن العولمة، وقائع اليومان الدراسيان المنظمين من طرف فرقة البحث: أماكن المعرفة، أماكن السلطة، مخبر انثروبولوجيا الذاكرة والتاريخ، وهران 15-15 أكتوبر 2002، منشورات ص 88.

غالباً ما كان مكان تواجدها الأصلي والفعلي ومجال بحثها النظري والعملي، وهذا الغياب أو التغييب القصدي للفكر الفلسفي النقدي هو ليس فقط على مستوى المؤسسة المدرسية والجامعية وحقول البحث العلمي، وإنما غياب هذا الفكر من حياتنا الاجتماعية العامة وكل ما يحيط بها ويؤثر فيها ويتأثر بها وكل الحياة الثقافية، وعليه الإشكال الذي يبقى مطروحاً هو التساؤل عن سبب هذا الغياب؟ أي لماذا هذا الغياب؟ .

الحل لهذا الغياب لن يكون إلا من خلال إعادة بناء ثقافة نقدية جديدة سواء في المؤسسة أو المجتمع، ثقافة منفتحة وجريئة قادرة على طرح الأسئلة الحقيقية لا الزائفة، فنحن "لا نطمح إلى أن نجعل من كافة المواطنين فلاسفة بالمعنى المدرسي والأكاديمي الضيق ومصادرة كل اهتماماتهم وميولاتهم وانشغالهم المهنية والمعرفية... إنَّ ما نرمي إليه... هو إشاعة روح التفكير الفلسفي في فضاءاتنا لتربوية والاجتماعية وذلك حتى يتمكن المواطنون... من امتلاك القدرة على اجترح الأسئلة وممارسة النقد، واقتحام التفكير في تفاصيل الواقع الطبيعي والاجتماعي"²، فما الفائدة من استحضار مناهج واليات فكرية وفلسفية غربية أو عربية وكتابتها في كتب ومؤلفات وفي الأخير لا نستفيد منها في واقعنا وراهننا، فالمنظومات الأخلاقية متوفرة كتابياً ونظرياً لكن اجتماعياً الأمر لا يعكس هذه التنظيرات... لهذا

²- المرجع السابق، ص 71.

وجب أن يكون الهدف من مختلف الكتابات الفلسفية جعل الفلسفة والفكر والكتابة الفلسفيين فاعلين في الفضاء المؤسسي والاجتماعي، حاملين لدورها النقدي والتنويري، فالفلسفة يجب عليها أن تكون مزمنة للواقع والراهن والكاـتب هو دائما ابن اللحظة التي ينتج فيها نصّه بمختلف حدود هذه اللحظة وآفاقها، "فنحن بحاجة إلى فلسفة تراهن على الفعل والتأثير وتائر التغيير والتحويل الاجتماعيـن ملتزمة بذلك من أن تجعل من فعلها هذا أكثر إنسانية، وأكثر استجابة للقيم والمعايير والمبادئ التي يسعى البشر إلى تحقيقها... وإذا كان من بين مهام الممارسة الفلسفية المساهمة في إنتاج معرفة تستهدف عقل وفهم الواقع الطبيعي والاجتماعي في أبعاده الأنطولوجية والابستمولوجية والاكسيولوجية فإن ذلك لا يلغي دورها في تغيير الواقع أيضا"³ ، وعليه فنحن بحاجة إلى رؤية فلسفية منخرطة في شرطها الاجتماعي والكوني الراهنـي، قادرة على استيعاب واقعها وتحسينه وتطويره والسير به إلى الأمام ملازمة لمختلف تطوراتـه الراهنـة والمستجدة على مختلف المستويات (ثقافية، سياسية ، اجتماعية ، دينية، وطنية، ثقافية ، ...)، وحتى فيما يخص الكتابة الفلسفية ومختلف الكتابات الأخرى في مختلف التخصصات فهي الأخرى لها عيوب وسلبيات لكون أنها غالبا ما تكون وما ينظر إليها أيضا على أنها كتابات تخدم ثقافة الآخرين بدل خدمة ثقافتنا

³ - المرجع نفسه، ص 88.

الوطنية الجزائرية المعبرة عن هويتنا الأمازيغية العربية المسلمة، إذ نجد التبعية الثقافية حتى من حيث محتوى الكتابة تكون قياسا أو اقتباسا من الغير المختلف عنا، فالكثير من الكتاب يمدون أعينهم إلى الاشتغال والكتابة عن الآخر سواء العربي المشرقي أو المغربي، أو عن الآخر الأوربي خاصة، وهذا بحسب النقد يعمل على تغريب المجتمع الجزائري وثقافته، وهذا ما شكّل عقدة لدى الكثير من مثقفينا اتجاه الثقافة المحلية التي دائما تبدو للكثير في مرتبة أقل من الأعمال والكتابات الأوربية والمشرقية، "فواقعنا هو ذو بنية باتولوجية أو مرضية يستدعي التشخيص والفحص وهذا ما يمكن للمثقف القيام به في هذه الظروف العصيبة من حياتنا الراهنة" ⁴ فأولوية المثقف ليس تغيير الواقع بأدوات بالية أو مفاهيم مستهلكة وإنما تغيير هذا الواقع بنقده وتحديثه وليس بتطبيق مناهج بالية وقديمة عليه، ولهذا فنحن بحاجة إلى كتابات فكرية وفلسفية نقدية ذات صلة وثيقة بالواقع اليومي لمجتمعنا ولظروفنا ولمختلف تحولاتنا السياسية والاجتماعية والثقافية، فنحن بحاجة إلى الفيلسوف الطبيب والمشرّع الذي يفحص الواقع ويعالجه من مختلف العاهات والاختلالات، وعليه وجب أن يتواجد الفيلسوف والكاـتب والمؤرّخ في "موقع الحدث"، " والحدث هو أوسع من أن يكون مجرد وقائع

⁴ -مُجَدّ شوقي الزين، إزاحات فكرية، مقاربات في الحداثة والمثقف، منشورات الاختلاف، الجزائر،

عابرة يمكن تثبيتها في الخطاب أو تشكيلها" بل هو حقائق نعيشها ونجربها وتذوقها ونستشعرها روحيا وماديا، وما هو مطلوب منا اليوم هو أن نقدم كتابة فلسفية تحمل في ثناياها قيما معرفية ونقدية أكثر منها قيما نضالية أو إديولوجية أو حتى ذاتية نظرية، تحمل أفكارا ذات ارتباط مع الواقع وتحديدًا مع الواقع المعيش لأن كل فكرة هي ابنة بيئتها وظروفها، نحتاج إلى كتابة فلسفية تتجه وتقصّد الجسد الفردي والاجتماعي في سلوكاته العملية والتواصلية، أي قراءة هذا الواقع الذي نتمي إليه وبالنتالي يجب أن توجد الفلسفة والكتابة الفلسفية في صلب الـراهن أي في مسرح الحدث مبتعدة عن كلّ إديولوجيا مهيمنة عليها حتى تكون هذه الكتابة هي الأخرى فاعلة في المجتمع وموجهة له، "فمادامت المجتمعات المعاصرة قد خطت عتبة جديدة في التعامل مع الوقائع والتحديات الـراهنه سواء على مستوى التفكير والمعالجة أو على صعيد التدبير والممارسة، فإن المقاربات القومية أو هواجس الخصوصية أصبحت تشكل نسيجاً مفهوماً مخروبا لا يفي بمقتضيات الحاضر الحيّ أو الزمن الـراهن"⁵، "فرغم ما عرفته الجزائر المعاصرة من تحولات اقتصادية واجتماعية ومن اضطرابات سياسية عنيفة، فإن الفلسفة بقيت غائبة وبعيدة عن مجرى الأحداث وسجلت غياباً وصمتاً يكاد يكون كلياً رغم خطورة القضايا

⁵ - محمد شوقي الزين، المرجع السابق، ص 65.

المطروحة على المجتمع الجزائري ومستقبله" ⁶ ، وهذه الحالة من العجز على تفكير ما يجري أثارنا فبنا أكثر من سؤال وخاصة تلك الأسئلة المتعلقة بقيمة الفلسفة وأهميتها ودورها في المجتمع وهذا ما يتطلب منا إعادة تشخيص ومناقشة للممارسة الفلسفية في الجزائر من خلال تشخيص مكانتها في المنظومة التربوية والجامعية بالجزائر، ومن خلال الكتابات الجامعية وغير الجامعية، التي تعد كلها كتابات عامة موجهة للقارئ العام وللطلبة المبتدئين أو حتى المختصين منهم، فنجدها مثلاً تقدم نظرة عامة عن حياة الفلاسفة وفلسفاتهم، وهذا لا يلغي من وجود كتابات هامة ومهمة جداً تهتم بالإنسان وأصالة ومستقبله أو تلك التي تهتم بالفنان وعلاقته بالعمل الفني ، وكل تلك الكتابات التي تطرح مشكل الحضارة والإنسان وكل ما يمت بصلته إلى الثقافة الجزائرية المحلية وهنا نستحضر أعمال الدكتور محمد شوقي خاصة عندما يتحدث عن طرحه لفكرة المثقف المتناهي الذي "يعي تناهيه وارتباطه بلغته المفهومية ولا فرق بين مهنته وبين أي صناعة أو فبركة" ⁷ ، فالفلسفة لا تُمارس في الجزائر كفكر وكفعل، بل هي تمارس فقط كوظيفة تؤطرها الدولة. لا يعترف الشارع الجزائري بالفيلسوف، لأن المشتغل بالفلسفة هو ذاته لم

⁶ - الزاوي بغورة، الخطاب الفلسفي في الجزائر، الممارسات والإشكاليات، تشخيص أولى، وقائع اليومان الدراسيان المنظمين من طرف فرقة البحث: أماكن المعرفة، أماكن السلطة، مخبر انثروبولوجيا الذاكرة والتاريخ، المرجع السابق، ص 115.

⁷ - محمد شوقي الزين، المرجع السابق، ص 81.

يستطـع أن ينتزع لذاته مكانا مثلما هو الحال في الأدب أو الدين أو
السياسة... نعترف بأن الفلسفة لا تجد لنفسها مكانا في المجتمعات العربية
والإسلامية ومن بينها المجتمع الجزائري، لأن المخيال الجمعي يربطها دوما
بفكرة الخروج عن الملة، ولعل سلوك المشتغل بالفلسفة اليوم يزيد في اتساع
تلك الهوة، وحال الفلسفة يحيلنا إلى حال الكتابة الفلسفية التي لا يقرأها أحد
غير المختصين رغم وجود بعض الاستثناءات النادرة عن وجدت طبعا، وهكذا
نقر أن الفلسفة في الجزائر ستظل دوما نخبوية، ونخبويتها تجعلها لا تواكب
الواقع كما بأمله الإنسان العادي. إن أكبر عائق أمام الفلسفة والكتابة
الفلسفية في الجزائر هو المفارقة بين الفعل والعقل، حيث نلاحظ في الجزائر
أن ما يطرحه المشتغل بالفلسفة يخالف سلوكه تماما. لقد كان ابن رشد يُجسد
النظر الفلسفي في سلوكه، كما كان ديكارت وكانط . ولا يفوتنا في هذه
الورقة أن نشير إلى بعض انتاجات الكتابة الفلسفية في الجزائر التي نستحضر
منها كتابات الدكتور الربيع ميمون(كتاب الدور الديكارتية، كتاب نظرية القيم
في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية) وهي كتابات اهتمت بتاريخ الفلسفة
بشكل عام. أما في الفلسفة الإسلامية فقد اشتهرت كتابات الأستاذ عمار
طالبي (كتاب آراء أبي بكر ابن عربي، كتاب اصطلاحات الفلاسفة) وكذا
كتابات عبد الرزاق قسوم (كتاب مفهوم الزمان في فلسفة ابن رشد، كتاب
مدارس الفكر الإسلامي المعاصر)، وكتابات الدكتور محمود يعقوبي التي
تجاوزت الثلاثين مرجعا بين مراجع وترجمات، خاصة ما تعلق منها بالمنطق،

بالإضافة إلى كتابات الكثير من الباحثين والفلاسفة الشباب في شتى جامعات الوطن وهنا نذكر أعمال الدكتور مُجّد شوقي الزين الذي عرفت أعماله انتشارا واسعا داخل الوطن وخارجه.

وعليه فإن الكتابة الفلسفية في الجزائر كمادة خام هي متوفرة وأصبحت تعرف انتشارا واسعا واسعا في السنوات الأخيرة مقارنة مما كان عليه الحال في السنوات الماضية، خاصة مع ظهور المخابر البحثية في مختلف الجامعات، ونحن ندرك ونقدر جيدا أن المفكرين والباحثين والحاملين للواء الفكر والفلسفة في الجزائر هو أصحاب مشاريع وأفكار، وكل عمل يخرج من يد كاتب هو ثمرة جهد فكري خاصة عندما نرى البعض كرّس ويكرّس حياته لأجل مشروع فكري محدد ومعين مع العلم أن مهمة هؤلاء هي مهمة شاقة فيها الكثير من التضحيات، لكن ما يثير الانتباه أن مختلف هذه الكتابات هي دائما تبقى في إطار محدد لا تصل إلى الجميع ولا تكون معبرة عن حال الواقع والمجتمع ، ولا تقدم اقتراحات وحلول جريئة خاصة عندما نعرف أن الفلسفة هي فن في الحياة، فن للعيش فكيف تستطيع الفلسفة أن تمدنا بهذا الفن وان تقدم لنا أحسن طرق العيش والحلم والنجاح والتفوق والتواصل وبناء الذات واحترام من يحيط بنا ...ولهذا وجب على الفيلسوف الذي هو صاحب الكتابة الفلسفية أن يخرج إلى الواقع، أن يخرج هو، أن تخرج كتاباته إلى الناس، أي أن يخرج على الناس بما يكتبه دون أن يكون حاضرا في الساحات العامة وفيما يجري فيها، وعليه فنحن بحاجة إلى فيلسوف وكتابة

فلسفية متناهيين في مقابل فكرة نهاية المثقف أو حتى المثقف النقدي الذي تحدث عنه مُجَدُّ أركون، والتناهي هو : "الإقرار بالشرط أو الحد والإقليم، ليكون دور المثقف صناعة مفهومية في ميدانه الفكري وإقليمه المعرفي، فلا يعدو مجرد مشخّص للوقائع، محلل للغات مفهومية مبدع للمفاهيم ولآليات القراءة وأساليب التأويل..."⁸.

إن واقعنا اليوم بحاجة إلى أدوار فعلية ومواقف شجاعة وصريحة من القضايا التي يطرحها الواقع المتحول، وعدم الاستكانة إلى ما هو جاهز ومستورد، وإلى ما هو بعيد ولا يمت بصلة إلى واقعنا المعاش، وهذا ما يتطلب نخب تعمل وتكتب في إطار متحرر من أي انتماءات حزبية أو سلطوية، أو جماعات ضغط وغيرها...، إن كل من الحرف والدلالة والخطاب والمفهوم هي كلّها مفاهيم تحمل خاصية الكتابة والتعبير، لأن "الأشياء المعبر عنها هي بمثابة أشياء تثبت في الذاكرة شأنها في ذلك شأن تشكيلات من الجند وزّعت تكتيكيا واستراتيجيا في سوح(ساحات) الوغى، أليس هو ما تعبّر عنه مفردة "الكتابة" بالذات؟ الكتابة هي الوجه المتقمص الآخر ل"الكتيبة" التي في وقت تأزم المواجهة تجتمع وتفترق وتتقدّم وتتأخر(الكر و الفر) في هندسة إستراتيجية محكمة"⁹، فالكتابة "أمة الأمم" كما يصفها ابن عربي، لكن

⁸- مُجَدُّ شوقي الزين، المرجع السابق، ص 79.

⁹- مُجَدُّ شوقي الزين، المرجع السابق، ص 109.

هذه الكتابة سيصفها ويعبر عنها مفكرنا الجزائري بختي بن عودة بعبارة "انسحاب الكتابة" وهي إشارة ذكية إلى غياب المثقف على مستوى الإنتاج الفكري والسؤال الإشكالي، أي أن حجم الإشكاليات والأسئلة التي بات يطرحها المثقف لا تعكس الواقع وحقيقته، وخاصة غياب النقد.

إن بختي بن عودة سيمارس "الكتابة التي ينطلق فيها شعاع الوعي من الذات إلى البنية والعكس، أي أن الكتابة تكون بمثابة عملية اختراق مزدوجة للبنية وللمخيلة في أن واحد، فتحدث الكتابة بالمعنى المرئي وهي ليست إلا الكتابة المؤدية إلى المعرفة الدلالية الإرادية والواعية"¹⁰ وعليه نتساءل هل كتابتنا وبخاصة الفلسفية منها تؤدي غايتها الدلالية والنظرية بطريقة واعية وإرادية. إن بختي بن عودة يدفع بسؤال الكتابة إلى أقصى مداه حيث تتحوّل إلى مشكلة أنطولوجية على درجة قصوى من الأهمية. وليست فقط مجرد رسم باهت لكلمات وحروف عارية من المعنى ولا تثير أي قلق أو استفهام، وهذه الكتابة التي تحرّك العقول والنفوس وتغيّر الواقع وتسعى إلى طرح مشاكله وانشغالاته وهمومه هي التي نحن في أمس الحاجة إليها، يجب أن يكون الكاتب والمؤلف والفيلسوف مدركا وواعيا بقيمة ما يطرح وما يرغب في استئصاله وإضافته إلى الواقع ولا يجب عليه أن يكتفي بالرؤية الرسولية والعالية لهذا الواقع انطلاقا

¹⁰- عمر مهيل، من النسق إلى الذات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 2008، 1، ص 79.

من كتابات تبقى حاملة لرؤى وتصورات مثالية بعيدة عن رهنية مجتمعها وبيئتها وحتى عن راهنية كاتبها في أحيان كثيرة.

إن مشروع بختي بن عودة تمثل في إعادة بعث مفهوم جديد للكتابة "كتابة تحيل إلى ذاكرة حية ومستميتة تحاور الأصول لتثور عليها، تبحث الخاصّ لتصل على الكوني، كتابة تهدي في نسج جينالوجيا لها بوضع الكائن الإنساني في تفاعلاته المتعددة: النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، فلا هي تتحرّر إلى الحد الذي تنقطع فيه علاقتها بالكائن، ولا هي تنزل إلى درجة المعاينة البسيطة، الجزئية، فتحيلها إلى ما يشبه الرمز الرياضي" ¹¹، فالكتابة عند بختي بن عودة هي " ذلك الوجود الفاعل للوعي من خلال تجربة إبداعية نقدية لها شرائطها السوسيو-ثقافية" ¹²، وبهذا تكون الكتابة هي مغامرة غير مضمونة النتائج، وهي أيضا سفر في الممنوع كما يقول نيتشه، وبالتالي فهي فضاء داخل مشروع ما، هو مشروع بيئة، مشروع مجتمع، مشروع إنسان، مشروع سياسة، مشروع حكم، مشروع ثقافة ومستقبل، فقد كان بختي بن عودة يحلم ببلورة نخط كتابي جديد ومتميز.

ويبقى أهم عائق تعاني منه الكتابة الفلسفية في الجزائر هو غلبة الثقافي، الفكري، الديني، العقائدي، الإيديولوجي والسياسي، على الفلسفي والعلمي،

¹¹-المرجع السابق، ص 79.

¹²-نفسه، ص 80.

"من هنا نجد انتشار بعض الدراسات التي تنتمي إلى مراحل سياسية وصفت حينها بالفلسفية، ولا تعدو أن تكون اليوم أكثر من كتابات سياسية وحزبية لا تحمل أي صبغة فلسفية، كتابات انتهت بانتهاء السلطة المساندة لها"¹³ فهي كتابات لم تكن تبحث عن الفعل والعمل الفلسفي بقدر إخلاصها لرؤى وتصورات سياسية ودينية معينة، لكن رغم هذا نقول أن الكتابة الفلسفية في الجزائر بدأت تعرف توغلها داخل المجتمع أي داخل بيئتها الخاصة بها، وهذا بفضل المخابر الموزعة على جامعات الوطن. فصرنا نسمع اليوم عن مخابر تبحث وتدرس قضايا الفن، الدين، التصوف، التنمية، التاريخ، الهوية والسياحة، الثقافة... إلخ. هذا ما يجعل القول باقتضاء السير نحو جعل من الفلسفة مجال للممارسة والتمارين على التفكير في راهنية ويوميات الإنسان الجزائري، وعليه فالفيلسوف في الجزائر هو مطالب بأن يكون له دوره ومكانته داخل ما يطرحه الراهن اليومي الجزائري وذلك في الكثير من القضايا (السياسة، الدين، المجتمع، العمران، البيئة، وكل ما له علاقة بمجتمعنا)، رغم أننا نلاحظ أن الفلسفة والفعل الكتابي الفلسفي في الجزائر لازالا لم يفعلا فعلةتهما في الجزائر. وعليه فعلى كل الأكاديميين والمثقفين والفلاسفة أن يفكروا في أساليب القطيعة مع كل السليبيات والمفارقات التي غالبا ما يتميز بها الكاتب في كتاباته، حتى

¹³ - الزاوي بغوره، المرجع السابق، ص 183.

نستطيع أن نحول اهتمامنا إلى واقعنا وراهنـا وأن تكون كتابتنا الفلسفية لها ميزتها وطابعها الذي يكون مستوحى من الواقع والراهنـ ومن حقيقة الذات التي هي مجبرة على أن تكون ممارسة لمختلف ترميزاتها ومعانيها الكتابية، لأن الفلسفة غالبا ما كانت تنشئ وتنمو في أحضان الحراك الجماعي الذي يسمى بالمجتمع وما الفائدة من الكتابة الفلسفية إن لم تكن مصلحة ومعدلة ومهذبة للمجتمع ولراهنه ولظرفه الذي يمر به، صف إلى هذا أن الأعمال الفلسفية في الجزائر دائما ما تكون تعبر عن هم شخصي يحمله صاحبه وليس عن هم جماعي، وهذا ما يؤدي إلى نقص في تبادل الأدوار وانتقالها وتجولها وتواصلها وهذه كلها خصائص تتطلبها الفلسفة، لأن الحراك الفلسفي لا ينمو إلا ضمن فضاء جماعي، وهكذا فنحن بحاجة إلى ممارسة فلسفية في أرض الواقع وأن لا نكتفي بالتنظير الكتابي لها، وجب أن نمارس فعل التفلسف ونعيشه ونجعله جزءا من حياتنا اليومية، إن الفيلسوف والكاتب في الشأن الفلسفي مطالب بالانغمـاك في واقعه ومجتمعه بكل ما يـطر هذا المجتمع من سلبيات وإيجابيات وحينها نستطيع أن نجعل من الكتابة الفلسفية ممارسة في يومياتنا، وهذا ما يساهم من ناحية أخرى في إظهار قيمة الفكر والفعل الفلسفيين الذي طالما قوبل بالرفض من قبل الكثير من فئات المجتمع، وهنا ستأخذ الفلسفة صبغة فن للحياة.

